# الدين والعقل

للدكتور سليمان دنيا

لست أشك فى أن كلمتى « العقل » و « الدين » اللتين يرددها الشبان مقرونتين إحداهما إلى الأخرى ، كخصمين عنيدين ، وكعدوين لدودين ، فيقولون ، مثلا : هذا ما يدعو إليه الدين ، ولكن العقل ، لا يقره ، ولا يقبله ؛ بل يأباه ويرفضه ؛ ويقولون هذا مايحتمه العقل ، ولكن الدين على خلافه — ليس لهما فى نفوس هؤلاء الشبان معان محددة واضحة .

إنهم يطلقون كلمة «العقل» ويريدون منها «الحرية» بمعناها الواسع غير المحدود .

ويفهمون الدين قوة متحكمة مستبدة ، تتحيف من الحريات ، وتنتقص من الحقوق ، وتفرض على الناس الحجر والتضييق والإرهاق .

وعلى أساس من هذا الفهم تبدى لهم العقل والدين ، خصمين متعاديين . وعلى أساس من هذا الفهم أيضا ، انطلقوا فى شبه إباحية سموها الحرية ، واتسم الدين عندهم بمعانى الكبت والحرمان .

وكان من آثار هذه التصورات غير الصحيحة ، أن انحرف بالشبان سلوكهم وأصبحوا على حال لا تؤهلهم لما ينتظره منهم الوطن فى غده .

فالتخنث ، واليوعة ، والإباحية ، والتهور ، كل أولئك لا تؤهل صاحبها للاضطلاع بأمر نفسه ، ولا بأمر أمته .

إن الحياة مليئة بالمشاكل : مشاكل الأفراد ومشاكل الجماعات ، ولا يستطيع التعرف على وجوه حلولها ، أولئك الذين ينتظرون من الحياة أن تستجيب لجميع رغباتهم ، ويفهمون الأدب والنظام ، كبتا وحرمانا .

أيها القارىء الشاب . إن نفوس الدارسين لسلوكك لتنضح أسى عليك وحسرة ، وتبتئس لمستقبل تكون أنت صاحب الأمر فيه ، إن بقيت على ما أنت فيه .

فمن ذا الذى قال : إن الاندفاع وراء شهوات النفس ، عقل ؟ والعقل هو ميزان التعادل فيك ، إن لم يقمك على حد من الاعتدال والاتزان ، فليس منك ، ولست منه ! ! ومن ذا الذى قال : إن الحرية هى إشباع رغبات النفس ، وليست الحرية إلا تحررا من أسرار هذه الرغبات .

العقل ليس إلا قوة فيك تكشف لك عن الواقع ، أو عن شىء من جوانبه ، لتدركه فتدرك بإدراكه الحد الفاصل ، بين الخطأ والصواب ، والحق والباطل ، لتأخذ بالصواب والحق ، وتبتعد عن الخطأ والباطل . فأين منه إباحية معربدة ، لا تهتم لحق ولا لباطل ، ولا ترى لصواب أفضلية على خطأ ، ولكنها اندفاع عابث ، وعبث مندفع .

العقل نور يكشف لك مواقع أقدامك ، قبل أن تسير ، ويريك مبدأ السير ونهايته . فإين منه ظلام دامس لا تتبين معه مواضع الخطو ، ولا تتضح معه بداية الطريق ، ولا نهايته ؟

ولو كان العقل هو الانطلاق المتحرر من كل قيد ، لكان الحيوان الذى ينطلق فى الكهوف والغابات ، تسيره غرائزه ، وتوجهه نزعاته ، ونزواته . أعقل من الانسان ! ! فإن نصيبه من هذا الانطلاق أكثر من نصيب الإنسان الذى تفرض عليه ظروف البيئة والمجتمع مالا تفرض مثله على الحيوان . .

العقل — أيها الشاب — هو سر الله فيك ورسوله إليك ، وعلاقة بينك وبينه ، به تعرف نفسك ، وتعرف مبدأك ومنتهاك ، وتعرف مكانك من الوجود الذى أنت فيه .

* * *

والدين نظام وثقافة : قانون وعلم .

والحياة إذا خلت من نظام يحكمها ، وقانون ينظمها ، كانت وحشية وهمجية ، على أنها فى الواقع لا يمكن أن تخلو من قانون :

فلولا أن فى الأسرة قانونا عاما ، ينظم طريقة الأكل والشرب ، بين أفرادها ، ومواعيد النوم واليقظة ، والعمل والراحة ، لاضطرب حبلها ، وتداعت أركانها .

ولولا أن فى المدرسة قانونا عاما ، ينظم سير العمل فيها ؛ ومواد الدراسة ، وطريقة الامتحان ، لما أمكن لنا أن نتعلم ، ولا أن نميز بين عالم وجاهل .

ولولا أن فى المصنع نظاما عاما ، يراعى توزيع الأعمال على من يحسنونها ، لتوقفت الصناعة وتعطلت .

ولولا أن للزراعة نظاما يراعى الاوقات المناسبة ، للزرع والرى ، والحصاد ، لوقع الناس فى مجاعة .

ولولا أن للأمة نظاماً يحفظ الحقوق ، ويصون الدماء والأموال ، لضاعت الحقوق ، وسفكت الدماء ، واغتصبت الأموال .

هكذا يعيش الفرد فى ظل جملة من القوانين : نظام الأسرة ، ونظام المدرسة ونظام المصنع ، ونظام المزرعة ، ونظام الدولة ، ونظام هيأة الأمم .

وهى كلها حدود وقيود لا غنى للمرء عنها ، ليعيش عيشا منتظما ، ولكنها مع ذلك حدود وقيود ، كثيرا ماتقف فى وجه رغباته وتتعارض مع ميوله ؛ ذلك لأنه ـ كفرد ـ ليس هو مصدرها ، وإنما مصدرها الجماعة التى يعيش فيها .

فمجموعة هذه القوانين تمثل السلطة الخارجية التى تشارك فى تنظيم حياة الفرد ، إلى جانب السلطة الداخلية فيه التى هى العقل .

فالأفراد لم يتركوا ينظمون حياتهم الخاصة والعامة ، بأنفسهم ، اتكالا على عقولهم ، بل فرضت عليهم سلطة من خارج تشارك مع العقل فى هذه المهمة .

فهكذا يبدو الإنسان محكوما بسلطة من خارجه ويبدو أنه لا يمكن إلا أن يكون محكوما بهذه السلطة الخارجية .

فإذا آمنت بذلك ـ أيها الشاب ـ ولا سبيل إلا أن تؤمن ، فاعلم أن الدين نظام من أنظمة الحياة ، كل ما بينه وبين الأنظمة الأخرى من فرق ، أنه نظام من عند الله . فإن كنت ممن يؤمنون بوجود إله قادر ، فما أيسر أن يكون لك فى نظامه فضل ثقته بمقدار ما تقصور الفرق بين الخالق والمخلوق .